معركة الطفيلة

وأثرها في تطورات الثورة العربية الكبرى عام 1918

Title: The Battle of Tafilah and Its Impact on the Developments of the Great Arab Revolt in 1918

م.م . منى كاظم إحجيل الكعبي
الكلية التربوية المفتوحة- مركز واسط الدراسي
Mkazm9961@gmail.com

ملخص

تناول هذا البحث مسرح العمليات العسكرية التي شهدتها مدينة الطفيلة والمناطق المجاورة لها ضمن اطار الثورة العربية الكبرى, وذلك للأثر الكبير الذي احدثته تلك العمليات من معارك وهجمات في مجريات الثورة ونتائجها, ليس على صعيد الارض الاردنية فحسب , وانما في سائر عمليات الثورة, وتتبع البحث بدراسته مقدمة عن مدينة الطفيلة وأثرها وتأثرها في الثورة العربية الكبرى, مع عرض للأحداث التي جرت قبل وخلال وما بعد المعركة, وما سعت لتحقيقه من اهداف, وانتهت الدراسة الى الوصول لعدد من النتائج منها ان معركة الطفيلة كانت من اهم المعارك في مجريات الثورة على الارض الاردنية, ولأهمية موقعها عند الاتراك العسكريين قرروا احتلالها, فهي في نظرهم تحتل مركزاً في عقدة جبلية مرتفعة ذات مداخل وتشرف جبالها الشرقية على تجمعات جيوشهم قرب سكة الحديد شريانهم النابض, كما انها من الغرب تطل على براح واسع جنوب البحر الميت ووادي عربة ولذلك ان السيطرة عليها له ما يبرره. اما فيما يخص المعركة فقد تميزت بانها حاسمة ومثلت نقطة تحول رئيسة في تاريخ الثورة العربية الكبرى, فهي من المحطات الهامة في مسارات الثورة, فضلاً عن موقف اهاليها المشرف الذين اجتمعوا بقلب رجل واحد من اجل نصرة الثورة وتحريرها من الاتراك.

الكلمات المفتاحية: الطفيلة، الثورة العربية الكبرى، الاردن، الثورة، الدولة العثمانية.

Title: The Battle of Tafilah and Its Impact on the Developments of the Great Arab Revolt in 1918

Assistant Lectuere: Mona Kazem Ihjail Al-Kaabi
Open Educational College/Wasit Study Center

Abstract:

This research focuses on the theatre of military operations witnessed in the city of Tafilah and its surrounding areas within the framework of the Great Arab Revolt. It analyzes the substantial impact of these operations, encompassing battles and attacks, on the progression and consequences of the revolution. This impact extends not only to Jordan but also to other regions involved in the revolt. The study commences with an introductory section that provides insights into the city of Tafilah, its significance, and its active participation in the Great Arab Revolt. It presents a chronological account of the events that transpired before, during, and after the battle. The research delves into the objectives that were pursued during the Battle of Tafilah. Furthermore, the study concludes by recognizing the Battle of Tafilah as one of the pivotal engagements during the revolution, specifically within Jordanian territory. Recognizing its strategic location, the Ottoman military decided to occupy Tafilah. They perceived it as a central point within a mountainous region, offering advantageous positions and overseeing their army's gatherings near the railway, which served as a vital lifeline for them. Additionally, Tafilah's western position provides a commanding view of a vast plateau located south of the Dead Sea and the Arabah Valley, further highlighting the strategic importance of its control. As for the battle itself, it stood out as a pivotal and decisive moment in the history of the Great Arab Revolt, representing a significant milestone in the overall progress of the revolution. Moreover, the remarkable unity and honourable stance of Tafilah's residents, who joined forces in unwavering support of the revolution and its liberation from Ottoman rule, deserve special recognition.

Keywords: Tafilah, Great Arab Revolt, Jordan, revolution, Ottoman Empire

المقدمة

بعد نشوب الحرب العالمية الاولى سنة 1914[1] لم يبقَ من بلدان المشرق الغربي ككل تحت الحكم العثماني سوى اقاليم الهلال الخصيب(بلاد ما بين النهرين – العراق– الشام)، فضلاً عن بعض اجزاء من شبه الجزيرة العربية، وكانت الحرب العالمية الاولى فاصلاً في مستقبل ومصير هذه البلدان، فقد انتقلت من عهد الى عهد آخر, ودخلت الدولة العثمانية التي لا زالت تخضع لها هذه الاقطار الحرب الى جانب كل من (المانيا وامبراطورية النمسا وروسيا)، وأدى الى اخطار عديدة من جانب المشرق العربي لوقوعه على الطريق الى الهند وإطلاله على البحر الاحمر والبحر المتوسط والمحيط الهندي والخليج العربي، كما ان الدولة العثمانية كانت قد اشهرت سلاح الجهاد الديني في وجوه اعدائها[2]، وأخذت الثورات الداخلية تعصف بأقاليمها المختلفة واصبحت الدول الكبرى تتطلع اليها طامعة في نيل المزيد من الامتيازات فيها للحصول على ما تبقى من أراضيها [3].ففي عام 1908 حصل الشريف الحسين بن علي[4] على الفرمان السلطاني بتولية إمارة مكة المكرمة وشرافتها, وقد كان آنذاك منفياً في العاصمة العثمانية استانبول, وفي العاشر من حزيران عام 1916, اطلق الحسين بن علي الرصاصة الاولى معلناً الثورة العربية الكبرى ضد حكم الاتراك, التي كان شأنها شأن الثورات التحريرية التي سبقتها, وجاءت الثورة كضرورة ملحة لتحقيق مطالب العرب والتي تمثلت بالاستقلال بعد ان عاش العرب لعدة قرون تحت سيطرة الدولة العثمانية, وكانوا يعانون من الاهمال والظلم والجهل والتخلف وقتل اللغة العربية التي تعد من اكبر المفاسد التي ارتكبوها وان السكوت عن تصرفاتهم ليس فيه مصلحة للعرب, وكان أن تلقى الحسين بن علي الوعود من البريطانيين بقيام مملكة عربية وبأن يكون الحسين ملكاً للعرب [5].

توطئة

الطفيلة هي إحدى مدن شرق الأردن الجنوبية, تقع هذه المدينة بين خطي طول (35) و (36) وخطي عرض (39) و (30)شمالا، وتبلغ مساحتها حوالي (1900) كم متر مربع وتمتد المنطقة من الشمال الى الجنوب حوالي(63) كم, أما من الشرق الى الغرب فهي أطول، إذ تصل الى (85) كم[6]، كما حددت السالنامة العثمانية حدود قضاء الطفيلة, بأن يحدها من الشرق قلعة الحسا, ومن الغرب البحر الميت ومن الشمال الكرك، ويفصل وادي الغوير ما بين الطفيلة ومعان جنوبا [7]، ويفصل وادي عربة ما بين الطفيلة والمناطق الغربية، والخط الحديدي الحجازي ما بين الطفيلة والبادية الشرقية [8]، وتبعد عن عمان العاصمة الاردنية حوالي(185) كم, ويمكن الوصول اليها عن الطريق الصحراوي, او من خلال طريق وادي الموجب المعروف بالطريق السلطاني, وأنشأت

مباني هذه المدينة على الجبل الذي يقع عند سفحه وادي الطفيلة الذي يصب في البحر الميت, وهذا الموقع يتميز بالطابع الطبوغرافي المركب الذي يدخل فيه الجبل والهضبة والوادي, وقد ميزها هذا الموقع لأن تكون حلقة وصل بين مصر والشام والحجاز وفلسطين, لذلك كانت ممراً للقوافل التجارية بين الجنوب والشمال والشرق والغرب[9], وتوضيحاً لأسم الطفيلة ومسمياتها التي تعود الى اصول آرامية وتعني الغرى والطين, فالطفيلة اسم عربي واعجمي في آن واحد، فالمعنى العربي يرتبط بطبوغرافية المنطقة, وقد عرفت الطفيلة بأسماء كثر على مدى التاريخ، فعند اليونان كانت تسمى (دي تيفلوس)، ومعناها أم الكروم, اما الانباط كان يطلقون عليها قرية الشمس, فضلا عن الاسماء الاخرى وهي اوغسطوبولس, متروكوميا, بلد الجبال, وفي السجلات العثمانية كانت تعرف باسمها الطفيلة دون وصف آخر, وفي العصر الحديث اطلق عليها "المحافظة الهاشمية" نسبة الى الملك عبدالله بن الحسين [10], ومن هنا يمكن ان نوضح ومن خلال تعدد التسميات لها فأن الطفيلة ليست اسماً لمنطقة معينة.

الطفيلة منطقة جبلية صعبة لا توجد فيها مساحات واسعة منبسطة الا في المنطقة الشمالية باتجاه وادي الحسا, فهي تتكون من سلاسل جبلية يتراوح ارتفاعها عن سطح البحر بين(1200م) في الجبال الواقعة الى الشرق من مدينة الطفيلة و(1645) في منطقة القادسية المطلة على وادي ضانا, ويتخلل هذه السلاسل عديد من الاودية العميقة, والطفيلة من المناطق شبه الجافة, التي لا يزيد معدل هطول الامطار السنوي فيها عن (250) ملم، اما الجزء الشرقي من المحافظة فمناخه صحراوي, ولا يزيد معدل هطول الامطار السنوي فيه عن (50) ملم, وتقع المدينة على ارتفاع (900–114) عن سطح البحر[11], اما بالنسبة لمناخها فهو مناخ حار جاف صيفاً، اما في الشتاء بارد ممطر, ومكنها مناخها من ان تكون احد اهم واروع محميات الشرق الاوسط وهي محمية ضانا[12]، على الرغم من وعورة المنطقة وكثرة تعرجاتها, الا ان خصوبة تربتها ووفرة مياهها وكثافة غاباتها ووجود العديد من المعادن مثل الفوسفات والمنغنيز والنحاس جعل لها اهمية خاصة مما جعلها موطناً للعديد من الحضارات المتعاقبة على ارضها, فهي لم تخلُ من الاستيطان على مر التاريخ [13].

موقف بريطانيا من الشريف حسين قبل اعلان الثورة العربية الكبرى

وضح الشريف حسين موقف الدولة العثمانية بمشاركتها في الحرب العالمية الاولى الى جانب المانيا, بأنها لا تستطيع المحافظة على بلاد العرب ما دامت البحرية الانكليزية قوية, وكان رده على رسالة الصدر الاعظم التي طلب فيها ابداء رأيه في المشاركة في الحرب وطلب مساعدته في

تأمين الهدوء في عسير واليمن, فمنعهم من دخول الحرب ضد فرنسا وروسيا وبريطانيا, لأن عمل كهذا يوصف بالخيانة, وان البلاد بأجمعها كانت رافضة تلك الحرب, علماً ان الشريف حسين كان قد التجأ الى استخدام الاساليب المزدوجة في تحديد موقفه النهائي من فكرة دخوله الحرب, فكان يجمع بين الرفض والدعوة لدخول الحرب واتخاذ الترتيبات والاحتياطات العسكرية لتقليص خطورة الحرب في الجزيرة العربية, وفي 2 تشرين الثاني 1914 دخلت الدولة العثمانية الحرب، الامر الذي اثار الانكليز ودفعهم لضرورة فتح مفاوضات مع الشريف حسين واستغلال التوتر القائم بينه وبين الدولة العثمانية, ووجه كنتشر (Kinture) وزير الحربية البريطانية استفساراً الى الشريف حسين عن موقفه من الدولة العثمانية بدخولها الى جانب المانيا الحرب, فأبان برغبته التعاون مع بريطانيا شريطة حماية مصالحه وبتعهد خطي, فلم تمانع بريطانيا بذلك، واعلنت بتقديم الدعم ضد اي اعتداء خارجي وعدم التدخل في شؤون الحجاز الداخلية، وابلغت القاهرة في 31 تشرين الاول من موقفها ولا شك ان هذه المراسلات [14]، بقيت سرية على الجانب العثماني حتى اعلان الثورة العربية الكبرى على الرغم من مراقبتهم وشكهم أثر مقابلات كنتشر في القاهرة, واوعزت بانها مقابلات غير مرغوب بها والباب العالي غير راض عنها, وكان ينظر نظرة ريبة الى المؤامرات العربية في الحجاز وسوريا بريبة وحذر, وكان للطموح الشخصي للشريف حسين لقيام الدولة العربية الكبرى المستقلة وتجديد الخلافة أثر كبير خاصة بعد ان حصل على تأييد بريطانيا, ومن الجدير بالذكر ان مراسلات 1915, في القاهرة اوضحت ذلك [15], فأعلن الثورة العربية الكبرى, والتي عدت نقطة تحول وانعطاف في تاريخ العرب.

مجريات الثورة العربية الكبرى

وقبل البدء بالحديث عن تحركات ومسار الجيش يمكن القول ان هناك الكثير من ابناء مدن الاردن انضوت تحت راية الملك حسين، وتعزى الى اسباب واهمها هي فرض الخدمة العسكرية الاجبارية على اهالي شرقي الاردن، فضلاً عن اثقال كاهل الاهالي بالضرائب, واستخدام العثمانيين القسوة الامر الذي أثر في نفوسهم, وفرض سياسة التتريك من قبل الاتحاديين, وفرض العادات واللغة التركية على العرب وابتعاد العثمانيين عن الدين الاسلامي, خاضت قوات الثورة العربية الكبرى معارك مختلفة في مسارح الحجاز والاردن وسوريا, وهنا نرصد وقائع بعض الأحداث والعمليات العسكرية, اذ أطلق الشريف حسين بن على الرصاصة الأولى بإعلان الثورة العربية الكبرى رسمياُ فجر يوم السبت 9 شعبان 1334هـ الموافق 10 حزيران 1916م [16], وقد استسلمت الحامية التركية في جدة يوم 16 حزيران ى1916, وتولى قيادته العرب فيها الشريف محسن بن احمد منصور, وكذلك استسلمت قلاع العثمانيين في مكة المكرمة يوم 9 تموز 1916, وتولى الشريف

حسين بنفسه إدارة الحركات العسكرية فيها, وتذكر ايضاُ الحامية العثمانية في مدينة الطائف التي استسلمت يوم 23 ايلول 1916م, وقد تولى الشريف حسين بنفسه إدارة الحركات العسكرية فيها, وتولى الأمير عبدالله قيادة القوات العربية, وقد اشتركا الأميران علي وفيصل في الهجوم على العثمانيين في المدينة المنورة، فتولى الامير على الجيش الجنوبي, وكان الجيش الشمالي بقيادة الامير فيصل, فقد استولى على مدينة الوجه, ومن ثم احتل العقبة, ولكن تعزيزات قوية وصلت دمشق بواسطة خط سكة الحديد التي ساهمت في تأخر استسلام فخري باشا قائد الحامية حتى 7كانون الثاني 1916م[17].

أشترك الامير عبدالله في حصار المدينة المنورة في اوائل كانون الاول 1916 وظل يحيط بها بجيشه الشرقي مع جيش اخيه الامير علي حتى رفعت حاميتها راية الاستسلام, وفي يوم 24 كانون الثاني من عام 1917, استولى العرب بقيادة ناصر بن علي [18]، وعوده بن تايه [19]، على ثغر العقبة [20].

ومن هنا بدأت جيوش الثورة العربية بالانطلاق لتحقيق اهدافها وشملت كافة الاراضي الاردنية, وقسم الجيش الى ثلاثة جيوش بقيادة ابناء الحسين فيصل وعبدالله وعلي, وكانت مهمة جيش الامير التوجه شمالاً الى العقبة, وكان زيد بن الحسين معاوناً له وساعده الايمن[21].

تقدم الجيش العربي نحو دمشق في آب 1916, اذ شكل الجحفل السيار للقتال خلف خطوط العدد, واسند الامير فيصل قيادته الى نوري السعيد وتألف الجحفل السيار من (1000) جندي نظامي و(4500) متطوعا من العشائر واصل الجيش العربي والجحفل السيار تقدم نحو دمشق, وكان يضم بين صفوفه المئات من الضباط العراقيين مضحين بأرواحهم في سبيل قضيتهم المتمثلة بتحرير البلاد العربية, إذ تقدموا من مكة المكرمة باتجاه الشمال عبر جدة ورابغ, ومن ثم العقبة فعمان والطفيلة ودرعاً واخيراً دمشق وكان الضباط العراقيين أفضل العناصر المحاربة بين العرب, وكانت مشاركتهم قومية مع أخوتهم العرب لتحرير بلادهم العربية[22], فكانت المناصب التي شغلها الضباط العراقيين في جيش الثورة العربية الكبرى تعكس الدور المهم لهم, حيث كان الدور القيادي في جيش الثورة للضباط العراقيين ويؤيد هذا كتاب الشريف حسين إلى نجله الأكبر علي يأمره أن يسمع وينفذ كل ما يبديه نوري سعيد من خطط وآراء عسكرية [23].

ودخل هذا الجيش العقبة 6 تموز عام 1917, وفي كانون الثاني من عام 1918 كان الامير فيصل مقيماً في القويرة ابلغ أهالي الطفيلة وشيوخها ترحيبهم بقوات الثورة للدخول الى الطفيلة والوقوف الى جانب الثورة ضد العثمانيين, وقد أرسل الامير فيصل اخاه زيداً ليقود قوة تتجه الى الطفيلة في الشهر نفسه وتحديداً يوم 16 كانون الثاني دخل الامير زيد بجيشه الطفيلة من جهتها

الجنوبية وخيم بجيشه ومن معه من القادة في الحي الجنوبي في الطفيلة الذي اصبح يسمى من ذلك الوقت بحي وادي زيد, وفي بقعه مرتفعة منه كان مخيم الأمير وجيشه وهو المكان الذي سمي فيما بعد باسم الاميرية نسبة الى الامير زيد [24].

بدأ فيصل ورجاله بتحركات سريعة من اجل توسيع نطاق عملياته والسيطرة على الاماكن المهمة ومنها مناطق حوران وجبل الدروز والغوطة بداية, وبعدها الى دمشق وتحريرها من الاتراك, اذ قدم بداية نحو معان مركز تجمع الاتراك واحتلوا المناطق الاخرى بعدها كجرف الدراويش ووادي موسى والطفيلة, التي رفعت راية الاستسلام في كانون الثاني 1918 لتأكدها ان مصيرها مرهون ايضاً بموقف اهل البلاد, على الرغم من ذلك فقد حاول الاتراك استعادتها فتمكنوا من ذلك لكن تزايد الضغط عليهم قرب نهر الاردن دفعهم الى الانسحاب مما سمح للقوات من الجيش الشمالي من استعادتها من جديد يوم 18 ايار 1918, واستمرت العمليات العسكرية على هذا الحال ففي فجر يوم 11 نيسان 1918 هاجمت القوات العربية غدير الحج ودمرت(100) قضيب من سكة الحديد وأسرت (27) جنديا، لتهاجم يومين بعدها محطة الجرذون وتلول السمانات، لتتمكن في يوم 17 من الشهر نفسه من القيام بالهجوم النهائي ثم احتلال محطة معان [25].

مقدمات السيطرة على الطفيلة

يعد الهجوم الذي قامت به القوات العربية على محطة جرف الدراويش يوم 12 تشرين الثاني 1918م, مقدمة للسيطرة على الطفيلة, والتي تعد ذات استراتيجية للحامية التركية الكبيرة المتمركزة فيها, ولأجل تنفيذ المهمة قسم جيش القوات العربية الى ثلاث حملات للهجوم على هذه المحطة, أسندت قيادة الحملة الاولى الى الشريف ناصر بن علي ونوري سعيد بمساعدة عودة بن تايه, واسندت قيادة الحملة الثانية الى عشائر الجازي بقيادة الشيخ حمد بن جازي والثالثة الى عشائر بن صخر, وانضم الأمير زيد بن جعفر العسكري ولورنس ومعهما قوة صغيرة الى القوات التي دخلت الطفيلة، إذ تجمعت قوات مؤلفة من (450) شخصا في الموضوع الاحتياطي الذي حدده لورنس (Lawrence) للدفاع عن الطفيلة في حين كان صبحي العمري قائداً لوحده في معركة الطفيلة والذي كوفئ بترقيته الى رتبة ملازم اول[26].

كان الجيش التركي قد أعد اعداداً جيداً من حيث العدة والعدد, فقد ازداد عدد الافراد من الضباط والجنود على ألف مقاتل محملين بالأسلحة والمدافع [27], وكانوا على وعي تام بأهمية منطقة الطفيلة الاستراتيجية والعسكرية, ولا سيما قربها من الخط الحديدي الذي يزود المناطق الجنوبية بالإمدادات العسكرية, وهم يتبعون تحركات جيش الثورة العربية من العقبة باتجاه الشمال, ومن يلتف حول الثورة من شيوخ العشائر والقبائل من البدو والمدن والقرى الاردنية, وكان الجيش

بقيادة حامد فخري أحد القادة الابطال في الحرب العالمية الاولى وكان يحمل وساماً المانياً رفيعاً, وقد توجه الى المنطقة ليقود فرقة (48), وهي من فرق الجيش التركي, لحماية سكة الحديد من عمان الى القويرة لأهمية هذا الخط كما ذكرنا عسكرياً لهم, وكان هذا القائد يلقب بخارست في رومانيا, وكان معه وهو يتجه الى الطفيلة قوة مميزة من الجنود المدربين والضباط، وكان يطلق عليها فرق منتخبة, وقبل ان يصل الى الطفيلة أرسل تهديداته الى اهلها لانهم ناصروا الثورة ضدهم, واجبروا الحامية التركية في الطفيلة بقيادة زكي الحلبي على الاستسلام, وهددهم بأنه سيقلب عاليها سافلها، وواكبت الفرق للزحف نحو الطفيل، وبعد ان وصل مشارف الحسا وجه فخري تهديده بواسطه مدفعه القدرتلي التي بدأت بقصف الطفيلة, اذ اصابت القذيفة الاولى وسط البلدة لتعلن وصول الطوابير التركية, وكان ما حدث هو البدء باعلان الحرب [28].

موقف اهالي الطفيلة من معركة الطفيلة

بعد ان تواردت أنباء الحملة التركية من وادي الحسا, وعندما وصلت تهديداته إلى ابناء الطفيلة بقي اهلها صامدون ولم يغادروها، بل استعدوا للمواجهة بأسلحتهم, واجتمعوا شيوخاً ورجالاً وشباباً ومعهم ذياب العوران, وعقدوا أمرهم على نصرة الثورة, وكان عددهم يزيد على الثلاثين من كبار عشائر الطفيلة وهم خيالة وتبعهم راجلون, وتوجهوا إلى مخيم الأمير زيد في الطفيلة والتفوا حوله وطلبوا منه قيادة الجيش والمتطوعين لمواجهة جيش الأتراك القادم من الشمال, اعتذر الامير عن ذلك, وأكد لهم بأنه لا يستطيع أن يغامر بالمدفع او المدفعين, وهي كل ما يملك للدفاع عن المدينة, وتردد جيشه النظامي، وكانت القوة التي يقودها لا تتجاوز الستين رجلاً, ولا يملك من الاسلحة الا القليل, وهو يعلم بالعدة والعدد والسلاح الذي قدم مع حامد فخري وتحت رغبة هؤلاء الرجال الذين تكلموا باسم الطفيلة, وانهم متطوعين مع الجيش النظامي يحاربون تحت لواءه وبأمرته, وأنهم سيكونون مع الثورة ضد الاتراك اذ وقف احد الرجال ليقول امام الامير "لأننا حالنا جميعاً ايها الشريف ومعنا اطفالنا والصبيان –كما تراهم– نقسم بالله العظيم أن ننتظر وان نسير حتى تسير وان لا ندين للترك بالطاعة, وان نحسن معاملة من يتكلم العربية, وان نجعل الاستقلال فوق حياتنا واهلنا وأموالنا" [29].

ثم وقف رجلاً آخر وقال: "يا صاحب الشرف ان رجالنا المقيمين في وادي الحسا من البارحة حتى صباح اليوم يقاتلون الترك فتوكل على الله" وامام هذا التأييد والدعم الشعبي للأمير لبى الدعوة وارسل رسالة الى الامير فيصل يقول فيها " إن اهل الديرة اليوم مربوطون بنا من كل وجه, والتحقوا بنا برضائهم وسلموا اطفالهم إلينا, وباعوا ارواحهم معنا" [30].

غير ان رجال الطفيلة الحوا عليه للمواجهة الفورية, وانطلق الامير زيد من مخيمه وعلى رأس جيشه النظامي والمتطوعين, من رجال الطفيلة وقراها الذين شكلوا نسبة كبير في قواته الى منطقة العيص

في موقع يدعى خربة المشرفة على الطفيلة من الجهة الشمالية, زادت قوات الامير بمتطوعي الطفيلة والمنتسبين لجيش الثورة من البلدة وقراها, وكانت الفرق متطوعة من قرية عيمة وما حولها وفرق أخرى خرجت من وادي الحسا والقرى الاخرى القريبة والعربان في هذه المناطق، وفي تنسيق لخططهم وسوء تقدير الاتراك في ادارة دقة المعركة بدأت القوات التابعة للأمير من احكام الطوق حول الاتراك لتهاجم مخيم الجيش التركي فأوقعت خسائر كبيرة في جيش الاتراك جعلت القائد التركي في حيرة، وقلبت كل موازينه وخططه العسكرية التي وضعها لاسترداد الطفيلة والقضاء على اهلها وتمكن المقاتلون من قتل حامد فخري قائد الجيش التركي الذي كان يقول هؤلاء العرب جعلوا قوانين العرب عاليها سافلها [31].

وعن ترحيب اهل ابناء الطفيلة بقادة الثورة ورغباتهم بالمشاركة فيها يشير المؤرخ سليمان الموسى الى ان اهل الطفيلة ورغبتهم بالمشاركة في الثورة والتخلص من الاتراك هو ما دفعهم لدعوة الامير فيصل للتوجه الى الطفيلة لتحريرها من الاتراك والحامية التركية فيها, ويقول الموسى "هكذا نرى ان الثورة امتدت من الطفيلة من خلال اهلها ورغبتهم في ذلك ولو صمم اهل الطفيلة على المقاومة, وتعاونوا مع الحامية التركية لغدت مهمة قادة الثورة عسيرة للغاية" [32].

مجريات معركة الطفيلة

بعد تسعة ايام من دخول الامير زيد بن الحسين الطفيلة وتحديداً في 25 من كانون الثاني من عام 1918 وقعت معركة الطفيلة المشهورة مع الاتراك والتي اطلق عليها بأسم معركة "حد الدقيق" نسبة الى المكان التي وقعت فيه والواقع الى الشمال من الطفيلة وهي المعركة التي ارسل فيها ملك بريطانيا جورج الخامس (George V) (1910–1936) برقية تهنئة الى الحسين بن علي في مكة في الثلاثين من كانون الثاني من العام نفسه يقول فيها "انني اسري بإعرابي عن سروري العظيم لمظفريات ولدكم المقدام على العدو في ارض الصوان" [33].

بدأت المعركة بعدد قليل من القوات غير النظامية لكن ما لبث أن تصاعدت اعدادها بعد أن وفد الرجال المتطوعون من بلدة عيمة وآخرون من جرف الدراويش [34]، اجتمع اهل الطفيلة من أجل نصرة الثورة والانضمام لقوات الشريف حسين، فضلاً عن الجانب الآخر الذي كان تحت قيادة الأمير فيصل, استسلمت حامية الطفيلة ثم حاولوا الاتراك السيطرة عليها فعززوا قواتهم لكنهم لم يتمكنوا من ذلك, إذ قتل قائد الفرقة وأغلب الضباط [35].

وعلى اية حال كسبت المعركة من قبل العرب واصبح الموقف التركي في حالة الارباك, وقتل قائد الفرقة التركية, وتكبدت القوات العثمانية خسائر كبيرة قدرت ب(400) قتيلا, و(320) اسيرا بينهم(29) ضابطا، وغنموا(27) رشاشا، و(200) من الخيل والبغال[36], وقد استولت قوات

الامير زيد على منطقة الطفيلة وعند ذلك ارسل العثمانيون الامير حامد فخري على رأس فرقة عثمانية لاستردادها الا ان العرب اوقعوا بهزيمة منكرة [37]، وقد اتجه المقاتلون لتجميع الاسرى وحراسة المعدات الحربية التركية وتسليمها الى الامير زيد، ويشير العمري من خلال كتابه اوراق الثورة العربية الكبرى كانت النساء يشاركن الرجال بحمل الجرحى وقد استشهدن بعض النساء وأخريات جرحن [38], ومن خلال الاطلاع على عدد من المصادر والتي اشارت الى تراجع الاتراك في مغادرة المنطقة على الرغم من خسارتها.

في وصف المعركة

وعن هذه المعركة يقول عبد المهدي بن محمود المرافي في مذكراته" إن معركة الامس التي حصلت يوم 12 ربيع الاخرة 1366هـ في 25 كانون الثاني من العام 1918م, التقى فيها رجال ثوار وصبيان طوارئ في مطلع الرجولة, يمارسون القتال بشغف ونساء يشاركن في الحدث للضرورة, وكأن سكان البلدة وقراها وجيرانهم البدو يتداخلون ويلتقون معاً في صلاة غروب من شهر مبارك في مشهد صارم ومثير", وقد تحدث العماد طلاس عن معركة الطفيلة وأهميتها بالنسبة للجيوش العربية وقال" رفع الاستيلاء على الطفيلة من معنويات الجيش العربي وحقق بعض آماله وإن معركة الطفيلة من أقسى المعارك واعنفها, وقد أحدثت صدمة عنيفة للمستعمرين الاتراك, وعندما حاولوا استرجاعها منيت قواتهم بهزيمة ساحقة" [39].

شهداء معركة الطفيلة

سجل تاريخ الطفيلة عدد من الشهداء والجرحى من الرجال والنساء وكان الشهداء الكثر هم من الطفيلة وحدها, وهم وحدهم من واجهوا الغزاة في هذه المعركة الصعبة وسجلوا اروع صور من صور البطولة للثوار الذين انهكوا طوابير الترك, فقد قدم نحو اربعين شهيداً اثناء تطوعهم في جيش الثورة العربية الكبرى واستبسالهم في مواجهة الجيش التركي في معركة حد الدقيق, وذكر القوابعة اسماء عدد من الشهداء، ويذكر انه نقل الاسماء من الحاج موسى وحمود العوران وجدوع سمور عيال عواد وسلمان بن صعنون من اهالي مدينة الطفيلة, الشهداء هم كل من عبد العزيز مسيف الجرابعة, بنيه الشبيلات, سلمان محمد الخريسات, ابراهيم احمد الكريري, جدوع سلامة العطيوي, خلف الفراهيد, احمد محمود العوران, محمد حرب الخطبا, على الفتاح الخطبا, محمد مطلق الشمسات, سمور عبدالله المرافي, خليل الهضيبي المرافي, خلف السفاسفة, محمدعودة الله الرفوع, مرزوق نصير الرعود, عيد محمد المسيعديين, سليم ربيع السعود, مسلم عيد الخصبة, عودة سلامة العرضان, حسن بن عودة الليثي, فرهود المرافي, مسلم العوابدة, علي جديع الخصبة, محمد شلوش الخوالدة, مسلم عيسى الحراسيس, سالم ابراهيم الحراسيس, علي سعيد العكايلة, جلال ابو هويمل,

جلال ابو جفين, قاسم الجذوان, اشتيوي العوامرة, عطي الشبطات, حسن اشتيوي العويضات, حسين القيسي البحارات, دخل الله العكايلة, فاطمة بنت ضيف الله العمايرة, صبحة العمايرة, وصبحية حجاج البحارات, اما الجرحى فهم عيد الحوامدة وصالح المحاسنة وجريد سلامة الحراسيس و سالم الداودية, محمد عبد الله القادر الزيدانيين, سالم عودة المزايدة, محارب مطلق عيال سلمان, قبلان الشبطات, ومحمد خلف النعانعة, خليل العمارين الزيادين, عبدالله حمود القناهرة, اما من النساء الجريحات فهن شيحة القليلة من بصيرة, وثريا بنت خميس الدلابيح من الطفيلة وحسن بنت عبد الغني من صنفحة[40].

الخاتمة

استنتج الباحث من خلال البحث ما يلي:

1-تميزت الارض الاردنية بانها اكبر ميدان لعمليات الثورة العربية الكبرى, وكان ميدانها ميداناً عسكرياً وسياسياً.

2-كانت معركة الطفيلة نموذج لمعارك الثورة العربية الكبرى, فهي من المعارك المهمة, في تاريخ الثورة والتي من خلالها تمكن اهالي المدينة من الحاق الخسائر الكبيرة بالقوات التركية.

3- قناعة اهالي الطفيلة بكل فئاته بأن الثورة العربية الكبرى جاءت لتحقيق اماني وطموحات كل عربي.

4- تنامي الشعور العربي القومي في منتصف القرن التاسع عشر, وكانت فرصة لاطلاع العرب على حركات التحرر القومية والرغبة الجامحة لتحقيق هدف الاستقلال والوحدة والحكم والاستقلال .

5- كما ان معركة الطفيلة كان لها الاثر الكبير في رفع منويات الجيش العربي فبعد ثلاثة ايام من المعركة نظم الامير زيد إغارة ناجحة على ميناء الكرك الوقعة على شاطئ البحر الميت.

6-في الوقت الذي انحدر فيه معظم قبائل وعشائر الطفيلة للثورة منذ فترة مبكرة الامر الذي سهل دخول جيوش الثورة.

7- برهنت هذه المعركة على شجاعة العرب دون مساندة اجنبية.

8- وبينت الدراسة بأن جيوش الثورة العربية الكبرى شملت عملياتها كامل الاراضي الاردنية وقد تحركت وفق خطط محكمة.

الهوامش:

(1) خليل علي مراد وآخرون, دراسات في التاريخ الاوربي الحديث والمعاصر, الموصل, 1988, ص 234-235.

(2) إسماعيل احمد ياغي, تاريخ العالم العربي المعاصر, الطبقة الاولى, مكتبة العبيكان, الرياض, 2000, ص7-8.

(3) شتوان سارة, الثورة العربية الكبرى, وتداعياتها على العالم العربي(1916- 1924), مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في دراسات تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر, الجزائر, بوزريعة, 1914-1915, ص10.

(4) هو حسين بن علي بن حسين بن عبدالله بن محمد الهاشمي, ولد في الأستانة عام 1853 أثناء وجود والده هناك، وتلقّى علومه الأولى فيها ثم عاد إلى مكة وعاش في كنف عمه الذي قرَّبه إليه وأسند إليه بعض المهام. برزت توجهاته التي تدعو إلى التخلص من الحكم الأجنبي وتحقيق الاستقلال العربي، فقاد الثورات المسلحة ضد الدولة العثمانية من أجل استقلال العرب. نُفي إلى الأستانة سنة 1893 بعد خلافه مع عمه عون الرفيق، ومكث فيهالمدة إلى أن عاد سنة 1908 أميرًا على مكة ليدير شؤون البلاد وهو يتطلع إلى الاستقلال العربي التام الذي كان يعمل من أجله. للمزيد انظر: نضال داود المومني, الشريف حسين بن علي والخلافة, دائرة المكتبة الوطنية, الاردن, عمان, 1996, ص21.

(5) أسعد خليل داغر, ثورة العرب مقدماتها- اسبابها- نتائجها, مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة, القاهرة, مصر, 2012, ص169.

(6) عامر خلف البلمان, التحليل المكاني لإنتاج الزيتون في محافظة الطفيلة, رسالة ماجستير, الجامعة الأردنية, 1991,ص1.

(7) سالنامة ولاية سوريا, 1316, 1898م, ص272.

(8) إسحق أحمد سالم عيال سلمان, تاريخ قضاء الطفيلة(1309-1365/1892-1946), رسالة مقدمة الى عمادة الدراسات العليا في قسم التاريخ, جامعة مؤتة, 2005, ص12.

(9) سلطان الحطاب, الطفيلة مملكة الادوميين وأرض الكروم, دار العروبة للدراسات, عمان, 2015, ص8.

(10) المصدر نفسه.

(11) سليمان القوابعة, الطفيلة تاريخها وجغرافيتها, ج2, ط 2, المطبعة الاردنية, عمان, 1986, ص12 .

(12) فوزي الخطباء, الطفيلة والانسان والتاريخ, دار عمار, دار الفيحاء, عمان, 1986. ص20.

(13) بكر خازر المجالي, في اسبوع الطفيلة, وكالة عمون الاخبارية, 2020.

(14) مراسلات حسين مكماهون (McMahon), وهي الرسائل المتبادلة بين حسين بن علي وهنري مكماهون (Henry McMahon) حامل لقب سير الممثل الاعلى لبريطانيا في مصر، ودار موضوع الرسائل حول مستقبل الاراضي العربية في الشرق الاوسط بين عامي 1915- 1916، ووعد الحسين بن علي باعتراف بريطانيا بآسيا العربية كاملة دولة عربية مستقلة وقد شارك العرب ضد الدولة العثمانية، وهذا ما تم خلال الثورة العربية الكبرى. للمزيد ينظر: الهام فول, فضيلة, مراسلات حسين – مكماهون, 1915-1916, مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الجستير في التاريخ الحديث والمعاصر, جامعة الدكتور يحى فارس بالمدية, السنة017-2018, ص38.

(15) كليب سعود الفواز, المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين بن علي والعثمانيون 1908-1918, المكتبة الوطنية, الاردن, 1997, ص114.

(16) أمين سعيد, الثورة العربية الكبرى, ج1, مكتبة مدبولي, (د. ت), ص149.

(17) بكر خازر المجالي, الموسوعة التاريخية للقوات المسلحة الأردنية- الجيش العربي تاريخ من البطولة والتضحيات 2021/1442م, دائرة المكتبة الوطنية, عمان, ص12.

(18) هو ناصر بن علي بن الحسين بن فهد بن راضي, شقيق الشريف حسين بن علي ولد في المدينة المنورة, عام 1890, من الاشراف الحسينيين الذين كان يطلق عليهم السادة, كان يتقدم الحملات العسكرية في ارض العرب تمهيدا لوصول جيش الثورة العربية الكبرى. للمزيد ينظر: سليمان الموسى, صور من البطولة, ط2, وزارة الثقافة, عمان, 1988, ص75.

(19) عوده بن حرب أبو تايه الحويطي, ولد حوالي عام 1870م وقد اشتهر بالشجاعة والفروسية والرجولة منذ مطلع شبابه, التحق بجيش الثورة العربية الكبرى تجاه العقبة ومعان وقاتل معهم توفي عام 1924 ودفن في عمان. للمزيد ينظر: خير الدين الزركلي, قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين, ج5, ط 15, دار العلم للملايين, بيروت, 2002, ص93-94.

(20) بكر خازر, المصدر السابق, ص12.

(21) سلطان الخطاب , المصدر السابق, ص37.

(22) حازم مجيد احمد الدوري, دور الضباط العراقيين في الثورة العربية الكبرى عام 1916, المجلد 16, العدد 10, كلية التربية- جامعة تكريت, سامراء, 2009, ص260-263.

(23) ثامر احمد عطية, الضباط الشريفيون ودورهم في الحكم الوطني في العراق من 1914-1941, العدد45, مجلة الكلية الاسلامية الجامعة, جامعة المثنى, ص415-416.

(24) سلطان الخطاب , المصدر السابق, ص37.

(25) شتوان سارة, الثورة العربية الكبرى وتداعياتها على العالم العربي 1916- 1924, الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية, بوزريعة, 2014- 2015, ص212-213.

(26) بن عباس نور الهدى, لورنس العرب ودوره في الثورة العربية الكبرى1916- 1935م, مذكرة ماستر مقدمة الى كلية العلوم الانسانية, التاريخ, جامعة محمد خيضر بسكرة, 2018-2019, ص41- 42.

(27) يوسف عبد العزيز عماد، الحجاز في العهد العثماني 1879-1918، شهادة ماجيستير في التاريخ الحديث، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2005. ص59.

(28) سلطان الحطاب, المصدر السابق, ص39.

(29) سلطان الحطاب, المصدر السابق, ص39.

(30) صبحي العمري, اوراق من الثورة العربية الكبرى المعارك الاولى الطريق الى دمشق, ط1, رياض الريس للنشر , لندن, 1991, ص135.

(31) سليمان الموسى, لورس والعرب وجهة نظر عربية, د. دار نشر , عمان, 1963, ص30.

(32) سلطان الحطاب, المصدر السابق, ص40.

(33) المصدر نفسه.

(34) بكر خازر المجالي, المصدر السابق, ص10.

(35) نوري سعيد: ولد نوري السعيد في بغداد عام 1888 تخرج من المدرسة الحربية في اسطنبول وهو احد الضباط السياسيين العراقيين انظم الى جمعية العهد التي تأسست في اسطنبول عام 1913, وكان له دور في الثورة العربية الكبرى التي قامت في الحجاز عام 1916, وساهم السعيد في السياسة العراقية مع تولي الاسرة الملكية لعرش العراق ,تقلد السعيد رئاسة الوزراء اربعة عشر مرة فضلاً عن منصبه مديراً عاماً للشرطة عام 1922, وكان لنوري دورا في تشكيل حلف بغداد عام 1955, توفي عام 1958, ودفن في مقبرة الكرخ , للمزيد من التفاصيل .ينظر: عبد الرزاق احمد النصيري, نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام 1932, مكتبة اليقظة العربية, بغداد, 1988؛ ولدمار غلمن, عراق نوري سعيد، بيروت، 1965؛ عصمت السعيد, نوري السعيد

رجل الدولة والانسان, نيولوك للترجمة والنشر, لندن, 1992؛ نظام عزت العباسي, محصلة الصراع على الحكم في العراق 1941 المنطلقات والنتائج, بحث في جامعة النجاح الوطنية ,ص 28.

(36) خالد محمد فاروق, المؤامرات الكبرى على بلاد الشام, دراسة تحليلية للنصف الاول من القرن العشرين, دار الراوي, بيروت, لبنان, 2000, ص 153.

(37) حسام على محسن المدامغة, لورنس والقضايا العربية 1888–1935, الاوائل للنشر والتوزيع, دمشق, 2005, ص110.

(38) صبحي العمري, المصدر السابق.

(39) أنور دبشي الجازي, موقف القبائل البدوية من العمليات العسكرية للثورة العربية الكبرى في جنوب الاردن 1917–1918, الوثائق البريطانية, مجلة جامعة الحسين بن طلال للبحوث, 2017, ص16.

(40) سليمان القوابعة, الثورة العربية الكبرى, عمان, 1989, ص61.

قائمة المصادر

اولاً: الكتب العربية:

- أسعد خليل داغر, ثورة العرب مقدماتها– اسبابها– نتائجها, مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة, القاهرة, مصر, 2012.
- أمين سعيد, الثورة العربية الكبرى, ج1, مكتبة مدبولي, (د. ت), ص149.
- حسام على محسن المدامغة, لورنس والقضايا العربية 1888–1935, الاوائل للنشر والتوزيع, دمشق, 2005.
- خالد محمد فاروق, المؤامرات الكبرى على بلاد الشام, دراسة تحليلية للنصف الاول من القرن العشرين, دار الراوي, بيروت, لبنان.
- خليل علي مراد وآخرون, دراسات في التاريخ الاوربي الحديث والمعاصر, الموصل, 1988.
- سلطان الحطاب, الطفيلة مملكة الادوميين وأرض الكروم, دار العروبة للدراسات, عمان, 2015.
- سليمان القوابعة, الطفيلة تاريخها وجغرافيتها, ج2, ط 2, المطبعة الاردنية, عمان, 1986.
- سليمان القوابعة, الثورة العربية الكبرى, عمان, 1989.
- سليمان الموسى, لورنس والعرب وجهة نظر عربية, د. دار نشر, عمان, 1963.
- سليمان الموسى, صور من البطولة, ط2, وزارة الثقافة, عمان, 1988.
- صبحي العمري, اوراق من الثورة العربية الكبرى المعارك الاولى الطريق الى دمشق, ط1, رياض الريس للنشر, لندن, 1991.
- عبد الرزاق احمد النصيري, نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام 1932, مكتبة اليقظة العربية, بغداد, 1988.
- عصمت السعيد, نوري السعيد رجل الدولة والانسان, نيولوك للترجمة والنشر, لندن, 1992.
- فوزي الخطباء, الطفيلة والانسان والتاريخ, دار عمار, دار الفيحاء, عمان, 1986.
- كليب سعود الفواز, المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين بن علي والعثمانيون 1908–1918, المكتبة الوطنية, الاردن, 1997.
- نضال داود المومني, الشريف حسين بن علي والخلافة, دائرة المكتبة الوطنية, الاردن, عمان, 1996.
- نظام عزت العباسي, محصلة الصراع على الحكم في العراق 1941 المنطلقات والنتائج, بحث في جامعة النجاح الوطنية .
- ولدمار غلمن, عراق نوري سعيد، بيروت، 1965.

ثانياً: الموسوعات والقواميس العربية:

- بكر خازر المجالي, الموسوعة التاريخية للقوات المسلحة الأردنية- الجيش العربي تاريخ من البطولة والتضحيات 2021/1442م, دائرة المكتبة الوطنية, عمان.
- خير الدين الزركلي, قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين, ج5, ط 15, دار العلم للملايين, بيروت, 2002.

ثالثاً: رسائل الماجستير:

- الهام فول, فضيلة, مراسلات حسين – مكماهون, 1915-1916, مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر, جامعة الدكتور يحى فارس بالمدية, السنة017-2018.
- إسحق أحمد سالم عيال سلمان, تاريخ قضاء الطفيلة(1309-1365/1892-1946), رسالة مقدمة الى عمادة الدراسات العليا في قسم التاريخ, جامعة مؤتة, 2005, ص12.
- بن عباس نور الهدى, لورنس العرب ودوره في الثورة العربية الكبرى1916- 1935م, مذكرة ماستر مقدمة الى كلية العلوم الانسانية, التاريخ, جامعة محمد خيضر بسكرة, 2018-2019.
- شتوان سارة, الثورة العربية الكبرى وتداعياتها على العالم العربي 1916- 1924, مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في دراسات تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر, الجمهورية الجزائرية, بوزريعة, 2014- 2015.
- عامر خلف البلمان, التحليل المكاني لإنتاج الزيتون في محافظة الطفيلة, رسالة ماجستير, الجامعة الأردنية, 1991.
- يوسف عبد العزيز عماد، الحجاز في العهد العثماني 1879-1918، شهادة ماجيستير في التاريخ الحديث، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2005.

رابعاً: السالنامات:

- سالنامة ولاية سوريا, 1316, 1898م, ص272.

خامساً: البحوث والمجلات:

- أنور دبشي الجازي, موقف القبائل البدوية من العمليات العسكرية للثورة العربية الكبرى في جنوب الاردن 1917–1918, الوثائق البريطانية, مجلة جامعة الحسين بن طلال للبحوث, 2017.
- بكر خازر المجالي, في اسبوع الطفيلة, وكالة عمون الاخبارية, 2020.
- ثامر احمد عطية, الضباط الشريفيون ودورهم في الحكم الوطني في العراق من 1914–1941, العدد45, مجلة الكلية الاسلامية الجامعة, جامعة المثنى.
- حازم مجيد احمد الدوري, دور الضباط العراقيين في الثورة العربية الكبرى عام 1916, المجلد 16, العدد 10, كلية التربية– جامعة تكريت, سامراء.